أثر برامج تلفزيون الواقع على ثقافة وقيم الأسرة .

الأستاذة: نبيح أمينة
جامعة المدية
البريد الالكتروني: amina_majik@yahoo.fr

ملخص:

نتناول في هذه الورقة موضوع جد مهموحديث نسبيا، سواء من حيث الظهور على الساحة الإعلامية العربية أو من حيث البحوث الأكاديمية، هذه الظاهرة الإعلامية الاتصالية التي تقترن بصفة خاصة بنتائج العولمة وتجلياتها، تتمثل أساسا في ظاهرة تلفزيون الواقع وتأثيرها على الأسرة – أهم مؤسسة اجتماعية-، محاولين البحث عن تداعيات برامج تلفزيون الواقع على المجتمع بصفة عامة، وكيف أن برامج تلفزيون الواقع تقوم بالترويج لأطر اجتماعية متناقضة بهدف إنتاج مجتمع استهلاكي، لننتقل بعدها إلى الحديث عن تأثير برامج تلفزيون الواقع على الهوية الثقافية، بصفتها شكل من أشكال الغزو الثقافي والتجانس الثقافي، وهذا ما جعلها محطة نقاش حول تموضعها داخل الفضاء الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي وتداعياته، خاصة في ما يخص تأثيرها السلبي على القيم العربية السائدة بإحلالها لقيم غريبة عن مجتمعنا، بين ما هو مؤيد ومعارض لرواج برامج تلفزيون الواقع كل حسب اتجاهاته وإيديولوجياته، كما حاولنا من خلال هذه الورقة العلمية رصد دور الأسرة والمجتمع في مواجهة الغزو الثقافي الموجه عبر تلفزيون الواقع، حيث نقف عند أهم التحديات التي تواجه هاتين المؤسستين الهامتين وسبل مجابهتهما لهذا الغزو الثقافي، بمفهومها الشامل الذي يتصل بالقيم والمواقف والاتجاهات وأنماط السلوك.

الكلمات الدالة: تلفزيون الواقع Reality TV، القيم Value، الثقافة Culture، الأسرة Family

Résumé:
Nous abordons dans ce document fait l'objet d'une très importante et relativement récente, à la fois en termes d'apparaître sur la scène médiatique arabe ou en termes de recherche universitaire, ce phénomène de moyens de communication qui sont associés avec, en particulier, les résultats de la mondialisation et de ses manifestations, est principalement dans le phénomène de la téléréalité et son impact sur la famille - la plus importante institution socio, en essayant de rechercher les répercussions de la téléréalité sur la société en général, et comment ce que les programmes de téléréalité qui favorisent cadres sociaux contradictoires pour produire une société de consommation, de passer ensuite à parler de l'impact de la téléréalité sur les programmes de l'identité culturelle, comme une forme d'invasion culturelle et l'homogénéité culturelle, Voilà ce faire parler la station à propos de repositionnement au sein de l'espace politique des répercussions culturelles, sociales et arabe, en particulier en ce qui concerne son impact négatif sur les valeurs arabes pro par transposition des valeurs de nous bizarre, ce qui est des avantages et inconvénients de la popularité des programmes de téléréalité, chacun selon les tendances et idéologies, comme nous avons essayé à travers cet article Le suivi scientifique du rôle de la famille et la communauté dans le visage de l'invasion culturelle dirigé à travers la téléréalité, où nous en sommes les défis les plus importants auxquels font face ces deux importantes institutions et des modes de confrontation à cette invasion culturelle, concept global qui communique les valeurs et les attitudes, les tendances et les schémas de comportement.
Mots clés :Téléréalité,les valeurs, la culture, la famille

تمهيد:

شهدت المجتمعات البشرية مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين ثورات وتغيرات هائلة في مجال الإعلام والاتصال، تتصدر قائمة هذه الثورات العولمة الإعلامية التي تتجلى ملامحها في الانتشار الواسع للقنوات الفضائية، الوسائط المتعددة، الإعلام الرقمي، التلفزيون التفاعلي

وغيرها من التطورات... التي يجزم الجميع على أنها أحدثت تغييرا جذريا في بنية العملية الإعلامية والاتصالية ككل، وهذا ما خلق فضاء من المنافسة الحادة بين القنوات الأجنبية والعربية، وأصبحت أمام كل قناة العديد من التحديات لاستمرارها، أهمها تغطية مساحات البث التلفزيوني المتزايدة بالإنتاج المسموع المرئي، وجذب المشاهد وإبقاؤه على شاشتها أطول مدة ممكنة، وتسجيل أرقام مشاهدة عالية لكسب سوق الاشهار.

وبذلك لم يعد ينظر إلى المتلقي على أنه عنصر سلبي يتلقى ويتأثر مباشرة بمضامين وسائل الإعلام، وإنما هو عنصر إيجابي وفعال في العملية الإعلامية والاتصالية، حيث وفرت تكنولوجيا الاتصال للجمهور إمكانية المشاركة في الرسالة الاتصالية والمساهمة في بناء شكلها وصياغة مضمونها، من خلال ميزة التفاعلية عبر خدمات الاتصال الرقمي.

في هذا السياق، يعتبر تلفزيون الواقع أحد أهم تطورات صناعة التلفزيون في عصر الثورة الاتصالية، بعد أن نال هذا النوع التلفزيوني حيزا واسعا ضمن برامج الفضائيات العربية الترفيهية التثقيفية، مما أدى على جلب انتباه العديد من المشاهدين، خاصة منهم فئة الشباب والمراهقين، ويتجلى ذلك من خلال الإقبال الهائل للعديد منهم على مشاهدة تلك البرامج، والتناقش حول مضمونها وحيثياتها والمشاركة فيها، وكذا في ترديد أسماء المشاهير وأغانيهم وتقليد أسلوب كلامهم ولباسهم وأكلهم وجلوسهم...الخ، زد على ذلك التباهي بذلك.

لقد أحدثت هذه الظاهرة الغريبة أو الوافد الجديد على برامج الفضائيات العربية ضجة كبيرة في الساحة العربية واختلفت الآراء بين مؤيد وناقد، في ظل اختلاف القيم حتى بين المجتمعات العربية نفسها، دون أن ننسى أن جل برامجها قد ترجمت للغة العربية وأعيد نسخها بشخصيات شبانية عربية. غافلين بذلك عن ما وراء رسائلها، لأن ما يغطيها هو الجانب الجمالي للصورة والترفيهي للغناء، في ظل طبعا انبهار المشاهد العربي بكل ما هو أجنبي، متناسيا أن مثل هذه البرامج سياسة من سياسات عولمة الإعلام والتي تنافي في كثير من الأحيان قيمه الاجتماعية والدينية التي بدأ ينسلخ منها دون شعور.

فالكثير من برامج تلفزيون الواقع تختار مجموعة من المشاركين من بلدان وجنسيات متعددة، وتحتم عليهم البقاء مع بعضهم البعض طيلة فترة البرنامج مع شرط عدم الاحتكاك بالعالم الخارجي، فهي تعتمد على عرض تفاصيل يوميات المشاركين لساعات طويلة بما فيها علاقاتهم العاطفية، ونوع لباسهم وطريقة مأكلهم ومشربهم وأسلوبحياتهم اليومية، دون الأخذ بعين الاعتبار المحافظة على خصوصية الأفراد المشاركين، كما أنها تعرض على الفضائيات العربية في أوقات الذروة لمدة ساعتين أو أكثر، متضمنة المسابقة وحلقات الغناء والرقص ويوميات المشتركين، مما يؤدي وبطريقة غير مباشرة إلى غرس عادات وقيم هؤلاء المشاركين في الجمهور المشاهد، وبحسب نظرية الغرس الثقافي هذا يؤدي إلى نقل صور ومعان وغرس مجموعة من المفاهيم والعلاقات الاجتماعية والسلوكية والنفسية بعيدة كل البعد عن عاداتنا وتقاليدنا العربية الإسلامية، خاصة أن مشاهدي هذه البرامج يصنفون من الأشخاص كثيفي التعرض نسبة لطبيعة هاته البرامج التي تعتمد على ساعات البث الطويلة.

في هذا السياق، تعتمد نظرية الغرس الثقافي بصورة عامة على اكتساب الإنسان للمعارف، التي تقود سلوكه، من خلال غرس معتقدات ومعارف وقيم تقود وتشكل العملية التثقيفية، وقد اخترنا البرامج الترفيهية بوصفها النموذج الذي يتسع لرصد القيم الاجتماعية السائدة في واقعنا العربي في سكونها وحركتها، فالتجدر الثقافي لهذه البرامج يجعل منها اطارا قابلا لتأويلات مختلفة، لأنها بسبب بعدها التواصلي وتعددها الدلالي مادة يساهم المتلقي في تحديد معناها وقيمتها. خاصة لما لها من نفوذ سحري بحكم ما تصطنعه من عناصر التشويق والجاذبية، والتي تجعل نفاذ آثارها ميسرا للجمهور المشاهد.

من هذا الطرح، وضمن هذه الدراسة العلمية نحاول إثارة موضوع**أثر برامج تلفزيون الواقع على ثقافة وقيم الأسرة .**

01- تلفزيون الواقع Reality TV: المفهوم،الخلفية التاريخية، الخصائص

تعدّ ظاهرة تلفزيون الواقع تجربة إعلامية حديثة نسبيا مقارنة بالتجربة التلفزيونية ككل، لكن اكتساحها للقنوات الفضائية الغربية وامتدادها

للقنوات الفضائية العربية في ظرف زمني قصير جعلها محط اهتمام الباحثين والأكاديميين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظر للتأثيرات التي تحدثها على المشاهد العربي سواء على المستوى النفسي والاجتماعي وكذا على المستوى الثقافي، لذا وفيما يأتي نستعرض بعض التعاريف التي قدمها الباحثون لهذه الظاهرة. والخلفية التاريخية لظهور تلفزيون الواقع وتطوره في المنطقة الغربية والعربية، ونتطرق أيضا لخصائص برامج تلفزيون الواقع.

أ- تعريف تلفزيون الواقع:

يعرف نصر الدين لعياضي برامج تلفزيون الواقع بأنها: " ليست نوعا تلفزيونيا، بل هي مادة تلفزيونية تتضمن العديد من الأنواع التلفزيونية. إنها إدغام للأنماط التلفزيونية التلفظية Types of Enuciation التالية: النمط اللهوي أو اللعبي Playful Tupe (المسابقات والألعاب التلفزيونية)، والنمط الوثائقي (DocumentaryType) ، والنمط الدرامي (Fiction Type) ، وتنتج تصورا عن الذات والآخر والعالم، وتحركها مقاصد مختلفة ليست كلها معلنة".(نصر الدين لعياضي، 2008: 10)

كما يعرف خالد زعموم وآخرون تلفزيون الواقع بأنّه: "التلفزيون الذي يظهر وضعيات أبطالها أشخاص عاديون، غير ممتهني الممارسة التلفزيونية ولا محترفيها، في وضعيات مشابهة للوضعيات العادية الحياتية تحت أنظار الكاميرا وأمام أنظار الجمهور المتعطش لمعرفة كيف يتصرف هذا الشخص أو ذاك في هذه الوضعية أو تلك".(خالد زعموم وآخرون، 2005: 58-59)

ويعرفها حسن عماد مكاوي على أنّها: "نوعية من القوالب البرامجية غير المعدّة مسبقا، تتضمن شبابا عاديين (غير ممثلين) يتم عزلهم عن بيئتهم الطبيعية ويتعرضون لمواقف غير عادية في إطار تنافسي من أجل الفوز بجائزة أو لقب ما، حيث يتم توظيف تقنيات الإنتاج من كاميرات وأجهزة لتصوير المتنافسين داخل الغرفة المغلقة والأماكن الخاصة، ويعكس البرنامج مزيجا من المعلومات والترفيه والتسجيل والمواقف الدراسية، ويتسم بالتفاعلية من خلال مشاركة الجمهور بالتصويت والتحكّم في النتائج النهائية" (حسن عماد مكاوي، 2012: 79)

فيما يرى آخرون أن مفهوم تلفزيون الواقع "لا يقتصر على الوظائف الترفيهية للتلفزيون، بل يشمل الوظائف الأخرى من الإخبارية إلى الإعلانية، ويعدّ وسيلة إقناع وتشكيل الرأي العام، يتمّ فيها جمع أفراد من عامة الناس، في مكان محدّد وبيئة محدّدة لفترة زمنية طويلة، لتسجيل حياتهم اليومية وردود أفعالهم الطبيعية، مع عدم وجود نص مكتوب أو سيناريو، وعرضه عرضا مباشرا على المشاهدين عبر الكاميرا المتواجدة مع المشتركين ليلا نهارا". (سماح حسين قاضي، 2009: 13)

يفهم من التعاريف السابقة أن تلفزيون الواقع هو عبارة عن برامج تلفزيونية تقوم بإظهار مجموعة من الأشخاص وهم يتنافسون على جائزة ما، في وضعيات تشبه إلى حدّ كبير حياتهم العادية والفرق يكمن في وجود كاميرا ترصد جميع الأحداث. حيث يجتمعوا في مكان واحد، لفترة زمنية طويلة نسبيا، ويتم عزلهم عن البيئة الاجتماعية الخارجية، دون الاعتماد على نص أو سيناريو مكتوب، ليتم عرضه مباشرة على المشاهدين بواسطة الكاميرات المتواجدة في غرف المتنافسين على طول 24 ساعة، حيث تأخذ هذه البرامج أشكالا عدة مختلفة منها: البرامج التي تقوم بعرض الحياة الطبيعية للناس سواء في البيت وسط العائلة، أو في العمل، وهناك البرامج المنافسات في المواهب كالغناء، الرقص، مسابقات، ملكات الجمال،..الخ.

ب- الخلفية التاريخية لظهور تلفزيون الواقع.

– تلفزيون الواقع في الدول الغربية: بالرغم من أن معظم الباحثين والدارسين لظاهرة تلفزيون الواقع يعتبرون أنها ظاهرة من الظواهر الحديثة في عالم الإعلام، إلّا أنه في المقابل يرى باحثون آخرون أن الظاهرة وجدت مع وجود وسيلة التلفزيون في حدّ ذاته، حيث أكّد الباحث Lay David في كتاب له بعنوان "مقدمة لتلفزيون الواقع "أن تلفزيون الواقع كان موجودا منذ نشأة التلفزيون في حدّ ذاته، فالبرامج التي تتّسم بكونها سيناريو مسبق وتنشأ عنها مجموعة من العروض، مثل: اللوحات والألعاب والمستندات الوثائقية وعروض المنزل، والبرامج الإخبارية التي تعرض الواقع في الحدث، وبرامج توثيق الحياة البرية للحيوانات

ضمن سياق حياتهم العائلية اعتبرت من الكثير نموذجا من نماذج تلفزيون الواقع. (سماح حسين، 2009: 27)

بالإضافة إلى ذلك تعتبر برامج الكاميرا الخفية أحد أشكال تلفزيون الواقع في بداياته الأولى. وخلال سنوات الستينات والسبعينات ظهرت مجموعة من المسلسلات في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة البريطانية تعتمد على تتبع تحركات الأشخاص العاديين في حياتهم اليومية العادية.

وفي سنة 1973 تم عرض أول برنامج لتلفزيون الواقع بالصيغة الحالية على قناة PBS الأمريكية، يحمل هذا البرنامج عنوان "العائلة الأمريكية" An American Family ، وهو عبارة عن سلسلة من 12 جزء، حيث صور هذا المسلسل حياة عائلة أمريكية بسيطة تناول عدة مواضيع ترتبط بالعائلة الأمريكية، إلا أنها كانت مواضيع محرمة آنذاك كالطلاق، الشذوذ الجنسي...الخ. (سماح حسين، 2009: 27)

وفي السنة الموالية أنتجت المملكة البريطانية برنامجا مشابها أطلقت عليه نفس العنوان"العائلة"، واتبع نفس الأسلوب وقد استقطب اهتمام مئات المشاهدين وفضولهم. وخلال الفترة الممتدة بين 1989-1990 تم تصوير وعرض برنامج آخر بعنوان (COPS) بحيث يقوم البرنامج على فكرة كاميرا محمولة تتبع ضابطا في الشرطة خلال فترة انجاز عمله. وفي سنة 1992 تم عرض برنامج يشبه إلى حدّ كبير البرامج التي تبث حاليا على القنوات الفضائية الأجنبية والعربية يحمل عنوان "Real World" أو العالم الحقيقي تم عرضه على قناة MTV الأمريكية. أما في استراليا وفي نفس السنة 1992 تم عرض أول أشكال برامج تلفزيون الواقع، حيث تم عرض برنامج يقوم على نفس فكرة برنامج "العائلة" الأمريكي بعنوان "Sylvania waters" حيث يقوم هذا البرنامج بتتبع حياة عائلة أسترالية لمدة ستة أشهر. (سماح حسين، 2009: 27-28)

وفي هولندا بدأت فكرة أول برنامج لتلفزيون الواقع عام 1998 عندما تحدّث صاحب شركة Endemal عن فكرة Biosphere حيث تعيش مجموعة من الناس في مقرّ واحد وبشكل طبيعي، فقرّر أن يجمع 12 شخص في مكان مشترك ويراقبهم بواسطة الكاميرات، فتطلبت الفكرة سنة ونصف جرى تنفيذها نهائيا وعرضت عام 1999 من خلال برنامج Big Brothers، بعدها اتصلت شركتان للإنتاج بـEndemal وجرى اقتراح فكرة وجود مواهب فنية وانطلقت فكرة ستار أكاديمي، فتحوّل هذا النوع من التلفزيون إلى تلفزيون الواقع، وتبعتها أنواع لا حدّ لها مثل Pop star 1, Loft Story,l' ile de tentation... وغيرها من البرامج.(جمال الزران، 2005: 73)

- **تلفزيون الواقع في الدول العربية:**تعدّ تجربة تلفزيون الواقع في البلدان العربية تجربة حديثة مقارنة بالدول الغربية، حيث بدأت التجربة مع البرنامج العربي الواقعي سوبر عام 2003، ومازال هذا النوع من التلفزيون مستمرا على الفضائيات العربية بنفس الفكرة والمضمون والتطبيق لبرامج واقعية أجنبية، ومن أشهر هذه البرامج الرابح الأكبر وستار أكاديمي والوادي....الخ.

وقد عرف هذا النوع البرامجي انتشارا واسعا في مختلف الفضائيات العربية في السنوات الموالية، حيث نجح في استقطاب ملايين المشاهدين في البلدان العربية، خاصة البرامج التي تتضمن منافسات في الغناء والرقص والمواهب على اختلاف أنواعها. حيث شهدت هذه الظاهرة ذروتها خلال سنة 2004، وتركز الاهتمام على التنافس بين مجموعة من المتسابقين في مجال الغناء أو للتربع على عرش الجمال أو الظفر بزوج أو زوجة على أن تتكفل القناة الراعية للبرنامج بكل مصاريف الزواج وبداية الحياة المشتركة.(المنصف العياري، 2005: 59)

وقد عرفت برامج تلفزيون الواقع رواجا كبيرا في السنوات الموالية عبر مختلف القنوات العربية الكبرى قناة MBC1، MBC4 السعودية، القناة الفضائية اللبنانية "LBC"، قناة روتانا الخليجية، قناة "الحياة" المصرية، قناة الرأي الكويتية، وغيرها من القنوات...، وهذا نظرا للفائدة التجارية التي تعود بها مثل هذه البرامج.

أما عن ظاهرة تلفزيون الواقع وامتدادها إلى القنوات الفضائية الجزائرية، فيمكن القول أن تجربة تلفزيون الواقع لازلت تجربة حديثة في الجزائر، حيث انطلقت مثل هذه البرامج مع تجربة المواهب " ألحان وشباب" التي شرعت القناة الجزائرية الأرضية والثالثة في بثها سنة 2008، من خلال عرض يوميات المتنافسين داخل المدرسة، ولازلت التجربة مستمرة على نفس النحو. حيث شرعت القنوات الفضائية الجزائرية في بث بعض البرامج، ومسابقات المواهب الفكاهية ...الخ، بالإضافة إلى تجارب لازلت في بداياتها على القنوات الفضائية الخاصة "قهوة القوسطو" بقناة الجزائرية، وبرنامج "توب سكاتش" بقناة الشروق. لكنها محاولات لازلت في مرحلة أولى لم ترق بعد إلى البرامج المعروضة في الفضائيات العربية الكبرى.

ت- خصائص برامج تلفزيون الواقع.

يعدّ تلفزيون الواقع أحد أشكال تكنولوجيا الاتصال التفاعلية، أو كما يعرف بالتلفزيون التفاعلي الذي يمنح المتلقي فرصة المشاركة في بناء الرسالة الإعلامية، ويمنحه فرصة أن يكون نجما أيضا، وبالإضافة إلى خاصية التفاعلية، يتميّز تلفزيون الواقع أيضا بطابع المنافسة والتسابق من أجل الفوز بالمرتبة الأولى وتحقيق النجومية المطلقة، كما أنه يتيح حميمية مفتعلة بين المشاهد والمتسابق في البرنامج. (مكاوي، 2012: 79)

في نفس المضمار، يوجز باحثون آخرون مميزات أخرى لتلفزيون الواقع في أنه :(العياري، 2005: 58-59)

يتميّز باعتماده الواقع لصياغة الفكرة وإخراجها، بصفة يومية ومراقبة الجمهور التلفزيون لكيفية تعامل الأشخاص الفاعلين في الواقع في هذا الواقع.

- تعتمد هذه البرامج البث في الزمن الواقعي، مما يسّر التفاعل مع الجمهور المشارك، مما يجعله فاعلا رئيسيا فيه إما بالتصويت أو بالتعبير عن الرأي.
- تعتمد هذه النوعية من البرامج على الحبكة الدرامية والتشويق لمعرفة الفائز من بين المشاركين في منافسة معينة.

بالإضافة إلى هذه الخصائص يرى الباحث بن عيسى عسلون أن تلفزيون الواقع أصبح موضة متهافت عليها ومفتتن بها، وأن هذه التجربة الإبداعية تنفرد بمجموعة من الخصوصيات أهمها:(بن عيسى عسلون، 2005: 53-54)

– **إلغاء الحميمية:** حيث أن تلفزيون الواقع ومن خلال إغراقه في تسجيل أو مراقبة أو استعراض الوضعيات والموضوعات والطقوس، التي عادة ما تجري في إطار السياق المغلق، إنّما يؤدي إلى ما يمكن أن نسميه بإلغاء الخصوصية أو الحميمية، ويتعزز هذا الشعور كلما استحضرنا جماهيرية التلفزيون أو جاذبية الرسالة التلفزيونية، بحيث تتداخل الحميمية المغلقة بالحميمية المتلفزة، ويميل المتفرّج إلى الشعور الأوتوماتيكي بانتقال الواقع الحميمي الخصوصي إلى واقع تلفزيوني فرجوي وعمومي.

– **سيطرة المظهر:** يتميز تلفزيون الواقع بالميل نحو الفرجوية التي تعطي الأهمية للحوافز البصرية التي تفرض نفسها على التسلسل السري للمضمون الإعلامي، بحيث تمنح الأسبقية للوظيفة الانتباهية لمظهر الفاعل. وتتجسد سيطرة المظهر في تلفزيون الواقع في اعتماد برامجه أيضا بشكل مركزي على الجسد كموضوع للتمجيد والإطراء والإغراء في الفرجة، كما تتعزز سلطة المظهر بالاهتمام المسبق بمسألة الإشراف على مظهر المشاركين التي عادة ما توكل إلى خبراء ومختصين لتحسين إطلالة المشاركين لتتناسب مع أحلامهم كنجوم.

– **إلغاء التمثيل أو التظاهر**: ينفرد تلفزيون الواقع بخاصية أخرى تتمثل في غياب التمثيل حيث يظهر الفاعلين في البرامج الفرجوية في صورة تلقائية وعفوية، هذه الميزة التي ما هي في الحقيقة إلا حيلة لجلب المشاهدين.

– **خلق النجوم...الآفلة:** ميزة صناعة النجوم واستثمارها هي أيضا من بين خصوصيات هذه الظاهرة، حيث ومن خلال برامجه يقوم بانتاج نجوم والاستثمار فيها ليتم نسيانها واستبدالها بنجوم أخرى.

02- تلفزيون الواقع: بين والمتقبل و الرافض

إذا كانت جل الكتابات العربية التي تطرقت لبرامج تلفزيون الواقع في الفضاء الثقافي العربي انطلقت من بديهيات الرفض أو القبول، ولكن ما اعتبرته بديهيا هو أنه رغم أن البيئات الثقافية التي ولدت فيها هذه البرامج مغايرة للبيئة العربية، إلا أنه لا يوجد اختلاف كبير في دوافع مشاهدة برامج تلفزيون الواقع في المنطقة العربية والمناطق الأخرى في العالم. ويمكن تلخيص هذه الدوافع فيما يلي: حب الفضول والتلصص، الرغبة في الاستهلاك" ثقافة الاستعراض والفرجة" التواصل والخروج من العزلة...الخ (لعياضي، 2008: 15)

هذا من ناحية الدوافع، أما من ناحية مدى تأثيرها في ظل تزايدها عبر القنوات العربية، فهناك موقفين: الموقف المتقبل والرافض.

حيث يرى أصحاب الموقف المؤيد أو المتقبل أن برامج تلفزيون الواقع عبارة عن نمط حياة جديدة يهدف إلى إنقاذ المنطقة العربية من تخلفها وتقهقرها، وأنه نتيجة حتمية للعولمة الثقافية، كما أن ثقافة التسلية والترفيه التي تبثها هذه البرامج تمثل ضرورة في الحياة الاجتماعية للأفراد، باعتبار أن الترفيه يمثل حاجة نفسية لدى الأفراد لابدّ من توفيرها، ...وغيرها من الحجج التي حاول من خلالها المؤيدون إعطاء الشرعية لهذه البرامج.

في نفس السياق، يهلل البعض لبرامج" تلفزيون الواقع" ويزعمون أنها أكثر من ضرورة لإنقاذ المنطقة العربية من تخلفها ورجعيتها، لأن هذا البرامج لا تعد في آخر المطاف، كمادة تلفزيونية ترفيهية، بل تعتبر نمط لحياة جديدة ورؤية للعالم من زاوية ايجابية، فلقد ذهبت المغالاة إلى درجة اعتبار تلفزيون الواقع ظاهرة حداثية وتقدمية، فأحد مريدي هذا الموقف مثلا يؤكد "أن العالم العربي بأسره تحور إلى "ستار أكاديمي" تغني فيها الشعوب العربية وترقص في الشوارع، بنات وشباب في المناسبات الاجتماعية، وبذلك فإن الأمن والسلام سيسودان في ربوعه، ساعتها لا وجود للصوص والإرهابيين".(لعياضي، 2008: 05)

ولا ننكر في هذا الصدد، أن برامج تلفزيون الواقع تساهم في الانفتاح الثقافي، إذ تقلل من ضغط العادات والتقاليد التي مازالت تحكم تقيد

مجتمعاتنا العربية، وبذلك فهي تفتح باب الحريات الفردية والتعبير عن المكبوتات بالعديد من الطرق من خلال وسيلة التلفزيون.

بينما يرى رواد الموقف الرافض أن تلك البرامج لها تأثيرات سلبية على المشاهد العربي، إذ أنها تقدم مضامين غريبة وبعيدة عن ثقافتنا وقيمنا العربية وحضارتنا الإسلامية، وأنّها برامج تقوم بنقل نموذج منفرد من التسلية والترفيه وتعممه على بقية الثقافات، كما أنها ذات مستوى هابط، يعمل على حصر اهتمامات المشاهد في كل ما هو سخيف وغير أخلاقي، وتلهيه عن الاهتمام بالقضايا الجادة والمصيرية، وبالتالي فهي مجرد مؤامرة تهدف إلى التغريب والازدراء بالقيم والمبادئ التي نشأنا عليها، كما يرى النقاد أيضا أن تلك البرامج تشكل خطرا كبيرا على مجتمعاتنا كونها تمس بكيان الأسرة- الخلية الأولى التي تبنى عليها المجتمعات ويتوقف عليها استقراره وثباتها، والمدرسة التي يتلقى فيها الفرد المقوّمات والضوابط التي تتحكم في سلوكياته ومواقفه واتجاهاته، والتي يكتسب منها أيضا العديد من المعايير الإنسانية والقيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية، وهذا ما يساهم إما في صلاح المجتمع وتطوّره إذا كانت تلك القيم إيجابية أو فساده إذا اتسمت تلك القيم بالسلبية – فتلفزيون الواقع ومن خلال برامجه التي يخاطب فيها الشباب والمراهقين برسائل معينة يقضي على التفاعل والاندماج الأسري ويشجّع على العزلة والتفتيت الأسري.

كما أن مثل هذه البرامج بعيدة عن العادات والتقاليد العربية الإسلامية، ويبرز هذا من خلال بثها ليوميات المشاركين وعلاقاتهم الغرامية ولباسهم الجريء، والعديد من السلوكات التي تبرزها الكاميرا سواء كان لفظا أو عبر الحركات أو الايماءات، فهي تعمل في الكثير من الأحيان على تقديم العواطف بمعناها الشهواني، وابتذال النساء من خلال الاعلان والترويج للموضة، وإضعاف البصر وإهدار الوقت وعدم الاستفادة منه في العبادة أو الدراسة أو المنافع الأخرى مع ما يصاحب ذلك من كسل، وانشغال عن الأشياء المفيدة، وتعطيل القدرات العقلية والتأملية.

وهذا ما جعل التلفزيون الجزائري مثلا: يضطر إلى الكف عن بقية حلقات برنامج ستار أكاديمي في دورته الثالثة بضغط من بعض الأوساط المؤثرة

في الشارع، بحجة عدم تلاؤمه مع تقاليد الأسرة الجزائرية، وعوضته بإعادة برنامج ألحان وشباب، الذي كان يبث في السبعينات والذي يعتمد على اختيار الأصوات الفنية الغنائية بالدرجة الأولى، إلا أنه وبعد انتشار الفضائيات الجزائرية الخاصة تبنت فضائية الخبر بث برنامج ستار أكاديمي، خاصة بعد رواج مشاركة الشباب الجزائري فيه، وهذا ما يجعلنا نتحدث عن نقطة أخرى أفرزتها البرامج التلفزيونية، وهو ما يطلق عليه الثقافة التلفزيونية وصناعة الثقافات من خلال برامجه، وهو مجال واسع للبحث والتحليل في مثل هذه البرامج التي كانت تعتبر ثقافة دخيلة، لكنها ومع رواجها بأي شكل من الأشكال أصبحت ثقافة رائجة يتبنها الجيل الحاضر بعد أن تبرا منها سابقه. وهذا ما يكشف جملة من الحقائق المرتبطة بالتغيرات الثقافية في المجتمع الجزائري، وبين تطورات البنية الذهنية الجزائرية.

03- تلفزيون الواقع: الانتقال من مشاهير الشعب إلى شعب المشاهير

تجسيدا لهذه المقولة ظهرت عدة أشكال من برامج تلفزيون الواقع نذكر أشهرها:

أ- **برامج الحديث الاستعراضي: Talk show** يعتمد موضوع هذه البرامج على مشاكل الخلاف العائلي ومصاعب الحياة الزوجية ومخاطر تفككها، فبعد أن كان بؤس حياة البعض من عامة الناس، وانزلاقها أو انحرافها مصدر توتر وقلق وانكسار فردي، أصبحت بفضل برامج تلفزيون الواقع مادة للفرجة والترفيه على حد تعبير الباحث الايطاليUmberto eco .(لعياضي، 2008: 11)

ومن بين أهم البرامج الأكثر صدى ومشاهدة عند المشاهد العربي نجد:

- Oprah show: برنامج أمريكي مشهور على الفضائية MBC 2، والذي يتناول قضايا مختلفة: مثل الاغتصاب الجنسي، زنا المحارم، التحرش والشذوذ الجنسيين، العنف الأسري، الجريمة، نظام الحمية لتخفيف الوزن، بعض الأمراض الوهمية... وغيرها.(لعياضي، 2008: 11).

ويجدر للذكر أن الأشخاص الذين يأتون إلى الأستوديو لتقديم شهاداتهم، أو استعراض تجاربهم هم أشخاص ينتمون إلى البيئة الثقافية التي

تبث منها وإليها هذه القناة، وهذا يبرز في اللغة المعتمدة وهي الانجليزية، وأيضا في القيم المعتمدة عندهم في تفسير مثل هذا الظواهر الشائعة لديهم، إلا أنه يجدر للذكر أن هذا البرنامج لقى شعبية كبيرة من خلال قدرته على جذب المشاهدين الأجانب والعرب وإغرائهم.

ب- **البرامج المعتمدة على تقمص الشخصيات**: يرتكز هذا النوع على ممارسة تجربة تتطلب من المشارك أن يتخلى عن وضعه الاجتماعي والمهني ومكانته الثقافية وشخصيته، من خلال تقمص فعلي لدور آخر في ظل سياق اجتماعي واقتصادي وثقافي مغاير. مثل البرنامج الأمريكي Simple Life الذي يشارك فيه النجوم والمشاهير، بشرط أن يتنازلوا عن حياتهم المرفهة، وينصرفوا ليعيشوا الحياة التي يعيشها أي مواطن بهمومها ومشاكلها، في حقل رؤية الكاميرا التي تلاحقهم لتصويرهم. (لعياضي، 2008: 12)

وهذا ما لم تتبناه القنوات التلفزيونية العربية، لكنها بالمقابل انتجت بعض البرامج التي تعتمد على الترجمة، أو التي تعمل على تغيير شكل المشارك ومظهره أمام مرأى المشاهدين. طبقا لمعايير الجمال الغربية المهيمنة والمواصفات التي تطفح بها شرائط الإعلانات المتلفزة وأفلام السينما الغربية.(لعياضي، 2008: 12)

ج- **برامج الألعاب:** تتمثل في تلك التي كون مركز ثقلها الألعاب، ولعل أبرز مثال عن هذا النوع، والذي فتح الطريق لتناسل أمثاله في مختلف القنوات التلفزيونية العربية هو برنامج "الحلقة الأضعف" The Weakest Link الذي شرعت قناة "المستقبل" اللبنانية في بثه سنة 2002، ثم تلته البرامج التلفزيونية المعروفة حاليا، مثل: ستار أكاديمي، سوبر ستار، المنسوختان عن البرنامج الأمريكي Idol Pop، والذي دفع القنوات التلفزيونية العربية إلى انتاجه وبثه ونسخه، بعد تكييفها وإخضاعها أكثر للخصوصيات المحلية: مثل: العندليب، ألبوم نجوم العرب، أكسير النجاح، نجم الخليج، ....وغيرها من البرامج القائمة

على التنافس في الغناء والطرب، وبجانب هذه البرامج وجدت البرامج التي تعتمد على المسابقات التلفزيونية التي يتبارى فيها المشاركون للإجابة على الأسئلة التي تطرحها نجاحا كبيرا، ولعل أشهارها برنامج: من يربح المليون، النسخة العربية للبرنامج الأمريكي Who Want To Be A Millionaire، وهو برنامج يتسم بطابعه الثقافي ويقدم قيمة معرفية مضافة للمشاركين والمشاهدين. (لعياضي، 2008: 13)

04- تلفزيون الواقع والمجتمع: أنماط حياة متناقضة... لتكريس نمط مجتمع استهلاكي

يتميز التلفزيون كوسيلة إعلامية بأنه من أكثر وسائل الإعلام التي تؤثر على الأفراد، حيث يحدث التلفزيون تأثيرات مختلفة ومتنوعة وسلبية على المشاهدين، هذه التأثيرات لا تنتهي في مرحلة زمنية محددة، وإنّما هي عملية متصلة ومتواصلة مادام التلفزيون والمشاهدين في حالة تفاعل وتجاذب مستمرة ومتطورة، بعد أن أصبح له تواجد دائم في حياتهم اليومية لينتقل بهم عبر مشاهد برمجية مختلفة إلى بقاع قرية بعيدة أو قريبة من العالم وبأوقات قياسية، وفي هذا الشأن يقولGeorge GERBNERأن التلفزيون استطاع أن يغيّر وجه البلاد ويبدل العادات اليومية للشعوب ويكيّف أسلوب الحياة، واستطاع أن يجعل من الأحداث المحلية ظواهر كونية.(عبد الله بوجلال، 1992: 75)

وفي هذا السياق تعتبر، برامج تلفزيون الواقع من بين البرامج التي أحدثت تأثيرات متنوعة على الأفراد والمجتمعات خاصة مع التزايد الملفت لمثل هذه البرامج على القنوات الفضائية العربية، بعد أن حققت نجاحا باهرا في القنوات التلفزيونية الأجنبية. ومن خلال استقراء سطحي لهذه الظاهرة وتأثيراتها على المجتمعات العربية يبدو لنا أن مشاهدة برامج تلفزيون الواقع تقضي على العزلة وتكسّر الفردانية، وذلك من خلال اعتمادها على تصوير الواقع اليومي للمتنافسين على طوال فترة المنافسة، زيادة على ذلك برامج تلفزيون الواقع تعطي المشاهد فرصة التماهي الاجتماعي مع الشخصيات التي يشاهدها والعيش وسط تلك الجماعات، في واقع يقترب كثيرا للخيال، وما يلبث المشاهد يسيقظ

منه حتى يندمج في قصة أخرى ونجم آخر، وهذا هو الجانب الظاهر لتأثير تلفزيون الواقع على المجتمع.

إلّا أنه على المستوى الباطني، فإن تلك البرامج ومن خلال بثها أنماط حياة جديدة، فهي تسعى إلى خلق مجتمع استهلاكي لا يتلائم بتاتا مع إمكانيات الدول المتخلفة من خلال دفع المشاهدين إلى الهرولة نحو الرفاهية والكماليات وقشور الحضارة الغربية وتبذير للأموال، وفي المقابل تلهيهم عن الاهتمام بقضايا مجتمعه والمشاكل التي يتخبطون فيها، ومن هنا ظهرت عدة نعوت للإشارة إلى قدرة برامج تلفزيون الواقع الفائقة على التلاعب بعقولهم وآمالهم مثل: " تلفزيون بيع الأحلام الجماعية"، "تلفزيون المخدّر الهادئ"، تلفزيون القمامة Trash TV وغيرها...

في نفس السياق، تقوم برامج تلفزيون الواقع بنقل النماذج الغربية في الحياة الاجتماعية من خلال إظهار المجتمعات الغربية بأنها مجتمعات تعتمد على الحداثة والرقي والتقدّم في الوقت، زفي بناء العلاقات وأسلوب العيش والأكل واللباس والترفيه، وهذا لا يراها الشاهد العربي إلا في الأحلام، مما يخلق نوعا من الاضطراب الاجتماعي،وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والأنانية والروحالاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، وتوطين العجزفي النفوس، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وتعميق المشاعر الذاتية أكثرمن الالتزام الجماعي، والانبهار بالنماذج الأجنبية، على حساب الهويةالثقافية، وكذلك تراجع الانتماء، وازدياد اليأس والإحباط، والاكتفاء بالمشاهدة المستمرة وتضييع الوقت على حساب الدراسة والتعلم والعبادة، زد على ذلك التقليد الأعمى للأسف لكل ما هو سخيف ومبتذل دون الحصول على نتائج تفيده في الحياة، سوبخلق نمط جديد لحياتنا، بعيد عن حياتنا الاجتماعية وعاداتنا وتقاليدنا، وكل هذا من شأنه أن يعمل على تفتيت المجتمعات وخصوصيتها وخلق أنماط حياة جديدة تختلف تماما عن الحياة التي عهدناها.

إن تأثير برامج تلفزيون الواقع يزداد خطورة يوما بعد الآخر، حيث كان في بداياته عبارة عن برامج موسيقية وترفيهية وبرامج مسابقات وألعاب، إلاّ أنه

في الفترة الأخيرة أخذت هذه البرامج أبعاد أخرى من خلال عديد البرامج التي ظهرت في السنوات الثلاث الأخيرة على الفضائيات العربية كبرنامج Arab idol ، ذو إكس فاكتور the x factor ، وبرنامج Arab s' got talent هذه البرامج التي أصبحت تدعو لتمجيد الهوايات ذات المستوى الهابط كالغناء، الرقص، والتي تعتمد على أساليب ملتوية كاللعب على الغرائز عن طريق إبراز مفاتن المرأة مثلا، وممارسة العنف الرمزي، وزعزعة ثقة الأفراد بعاداتهم وثقافتهم.(عبد الحفيظ الهرقام، 2005: 06)

زد على ذلك، اختراق الخصوصيات وإشاعة الاختلاط بين الجنسين، حيث بات ينظر إلى الاختلاط بين الذكور والإناث وكأنّه أمر عادي. مع إلزامية خلق علاقات غرامية بين المشاركين، لجلب الجماهير أكثر، ومن بين التأثيرات السلبية لمثل تلك البرامج أنها تؤدي إلى توسيع الفجوة بين الأجيال، مما يؤدي إلى الإخلال بالتماسك الاجتماعي داخل الأسرة وحتى خارجها من خلال الإدمان على مشاهدتها والمشاركة فيها ولو بالتصويت، ليعيش الابناء في عالم، والأسرة في عالم آخر. حتى أصبحت برامج تلفزيون الواقع فضاء لتسليع العواطف والمشاعر الإنسانية ووسيلة يعتمد عليها الأشخاص للوصول إلى الشهرة، حتى وإن كانوا فاقدين للشروط التي تؤهلهم لاكتسابها،ومن التأثيرات السلبية الأخرى لتلفزيون الواقع أيضا أنه يبعد الأفراد عن الشعور بمسؤوليتهم ، وذلك بإغراق المشاهد في حالة من السعادة الوهمية التي تجعله يتعايش مع محتويات البرامج التلفزيونية ملتهيا عن واجباته سواء نحو الأسرة، أونحو الآخرين.

05- تلفزيون الواقع وثقافة الأسرة.

يعتبر تلفزيون الواقع نتاج ثقافي غربي ظهر في سياق وبيئة اجتماعية وثقافية تختلف عن البيئة الاجتماعية العربية الاسلامية، وهذا ما جعله يشكل خطرا كبيرا على ثقافة الأسر العربية وقيمها، وتتجسد خطورته في المعلومات والصور والأفكار التي تحملها برامجه والتي تعمل في الأساس على إفساد الثقافات الوطنية، والتلويث الثقافي، وتفكيك الثقافات المحلية... وغيرها، في ظل تدهور التنشئة الاجتماعية وانشغال الأولياء بتوفير قوت العيش كحتمية لاستمرار الحياة، متناسين تربية الأبناء تتوقف على الكثير من الأمور للحصول على جيل سوي.

وكغيره من وسائل الاتصال الحديثة يهدف تلفزيون الواقع إلى تكرّيس أهداف الأمبريالية الثقافية، التي تقوم على إضعاف الانتماء، وتفكيك بنية قيمنا وروابطنا الاجتماعية، وتشويه الهوية العربية الإسلامية وفصل الحدود بين الحياة الخاصة والحياة العامة. كما يعتبر تلفزيون الواقع من بين أهم الوسائل الحديثة والمعتمدة في تحقيق الغزو الثقافي للشعوب العربية والإسلامية، من خلال البرامج التي تبثها والتي استمدتها في الحقيقة من برامج التلفزيون الغربية لتصنع بذلك ثقافة جديدة ودخيلة تعمل على زعزعة كياننا القيمي، والقضاء على التنوّع الثقافي لدى الأسرة، كون تلك البرامج تروّج لقيم متماثلة ومتشابهة تقوم على النمطية والمعيارية، حيث يصبح الفرد يفكّر نفس التفكير ويسلك سلوكا شبه موحّد، مما يقضي تدريجيا على التنوع الثقافي والحضاري للشعوب والأمم ويرسخ للتجانس الثقافي الذي لا يخدمنا بأي شكل من الأشكال.

زيادة على ذلك تقوم هذه البرامج أيضا بتسطيح ثقافات الأفراد، وتجعلهم يهتمون بالقضايا الهامشية التي لا تهمهم ولا تتعلق بمشاكل مجتمعهم الحقيقية، وبفعل ارتباطهم بثقافات الغير وعاداتهم من خلال التعرض لتلك البرامج، يجدون أنفسهم في موجة من الاغتراب الثقافي وحتى الاجتماعي، والذي يمسّ المراهقين والشباب بصفة خاصة، ويدفعهم إلى التخلّي عن ثقافتهم وخصوصيتهم، والتنكّر لعاداتهم وحضارتهم وثقافتهم وتاريخهم. ورؤيتها على أنها حضارة متخلفة يجب الانسلاخ منها.

في هذا السياق ترى الباحثة رحيمة عيساني "أن بعض الفضائيات العربية قد عملت على توصيل رسائل هامشية وتافهة ذات مضمون يكرس رؤى الوافد الأجنبي في المجال من التغريب والازدراء بالقيم والعادات والتقاليد، ومحاولات تسطيح الوعي عند الشباب وشغله بأمور ثانوية، وخلق حاجيات اتصالية وإعلامية بعيدة كل البعد عن الاحتياجات والانشغالات الإنسانية لديه من قبيل الفن الهابط، والحب المحرم، والاستهلاك اللامحدود واللامشروط، والاهتمام بتوافه الأشياء وعوارضها". (رحيمة الطيب عيساني، 2013: 04)

هذا طبعا، في ظل ما يعيشه الشباب العربي عامة والجزائري خاصة من غياب كل ما يلبي حاجاتهم في الواقع المعاش، جراء تفاقم المشاكل الاجتماعية كالبطالة، وتدني مستويات المعيشة، وظهور الطبقية في المجتمع، وغياب الأنشطة التثقيفية والترفيهية والنوادي...الخ مع تزايد أوقات الفراغ، وغياب الشخصيات الناجحة التي حتى وإن توفرت فهي مقصاة.

في نفس المضمار، لم تسلم اللغة العربية واللهجات الوطنية هي الأخرى من تهديد مثل تلك البرامج، حيث وبالإضافة إلى تقليد ومحاكاة (عادات وسلوكيات ولباس وتسريحات شعر) نجوم تلك الاستعراضات، نلاحظ تباهي وتهافت شبابنا ومراهقينا على تقليد طريقة كلام النجوم واستعمال نفس لغاتهم ولهجاتهم، حتى أنك لا تعرف العربي من الأجنبي ولا اللبناني من المصري ولا التونسي من الخليجي ولا المغربي من الجزائري، سواء في الغناء أو التمثيل أو حتى في حياتهم العادية، وهذا ما سيؤثر حتميا على اللغات السائدة في مجتمعاتنا بحيث يطغى استعمال اللغات الأجنبية ويؤدي إلى إهمال اللغات السائدة وطمسها تدريجيا .

06- تلفزيون الواقع وقيم الأسرة: نمط حياة جديدة...نحو تشكيل قيم بعيدة

تعد مسألة علاقة وسائل الإعلام بالقيم من بين الإشكاليات التي أثارت اهتمام العديد من الباحثين، خصوصا وأن وسائل الإعلام في عصرنا هذا باتت من أكثر العوامل التي تساهم في تشكيل القيم لدى الأفراد، أو تثبيت بعض القيم، أو تغيير القيم السائدة وإحلال قيم أخرى.

وقد اتسعت دائرة الاهتمام بالقيم وعلاقتها بوسائل الإعلام في عصرنا هذا خاصة مع التأثير المتنامي للصورة، حتى باتت القنوات الفضائية تتطرق للأمور الشخصية التي تتعلق بالأفراد، بما فيها مسألة القيم والعادات والتقاليد. حيث يرى بعض الباحثين أن التلفزيون من خلال بعض البرامج يجعل القضايا الشخصية الخاصة محلّ مزايدة ومعروضة للجمهور الواسع، ويلاحظ أنّه لم يعد هناك مجال لحياة الفرد الخاصة كجسمه وعائلته وممتلكاته وقيمه، فقد تمّت تعريته من جلّ ما يميّزه كفرد له سرّه، وتحوّلت قيمة الإنسان في خضم ذلك إلى وضعيات من المرئيات المكشوفة على شاشة التلفزيون. (نصير بوعلي، 2005: 55-56)

في هذا السياق، يؤكد بعض الباحثين أن برامج تلفزيون الواقع: ما هي إلا جزء من خطة تهدف إلى التغلغل داخل المجتمعات العربية وتحطيم القيم الثقافية والأخلاق، وذلك عبر نشر الإباحية والانحلال الخلقي وتشويه عقول الشباب.باعتبار أن الشباب هم الفئة الأكثر استهدافا من قبل العولمة الإعلامية، ولأنهم يتميزون بحب الإطلاع والشغف والميل نحو كل ما يضمن لهم التفاعل، زيادة على ذلك لأنهم يمثلون رأس مال الأمم العربية، وعليهم يتوقف رقي الأمم وازدهارها. لهذا نرى أن أغلب إن لم نقل كل البرامج تلفزيون الواقع شبابية بالدرجة الأولى سواء في الشخصيات أو

القضايا المتناولة. "وللأسف أن الكثير منها يروج لقيم الإباحية ونبذ القيم الاجتماعية المتوارثة في المجتمعات العربية، فهي مؤثرات وافدة تسري بالتدريج وتعود بالسلب على القيم العربية". (مكاوي،2012:80)[24]

في هذا الإطار، يعتبر تلفزيون الواقع من بين أكثر العوامل المؤثرة على المنظومة القيمية للأفراد، حيث يمكن لبرامج تلفزيون الواقع أن تساهم في تغيير بعض القيم السائدة لدى الأفراد (الخصوصية، الاحترام الذاتي، التواضع، الإيثار، روح الجماعة، التسامح، التضامن الأسري، احترام الآخرين...إلخ) وذلك بإغواء المشاهدين وإقناعهم بأن ما يشاهدونه هو الواقع الذي يجب أن يكونوا عليه، وهي بذلك تؤدي إلى تدهور منظومة القيم، وبالإضافة إلى ذلك، يقوم تلفزيون الواقع أيضا بإعادة تشكيل النسق القيمي للأفراد بخلق أنماط وقيم ومعايير جديدة وفرضها على أنّها القيم الواجب تبنيها (الأنانية، الفردية، الازدراء بالغير، الصراع...).

لقد كنا على حد قول الأستاذ حمدي قنديل نعتقد أن الهرج و المرج و العري و الإثارة والرقص الخليع مكانه الأندية الليلية، وصرنا هده المظاهر نراها في بعض الفضائيات التي أغرقتنا بكل ما هو هابط و رديء.

- كنا نطرب للكلمة و الصوت و اللحن و الموسيقى و الأداء، وصرنا نعاني تلوتا سمعيا و بصريا و فسادا في التذوق الفني.
- كنا نحترم المرأة ونعتز بوجودها، وصرنا نراها في جانب لن نعهذه عنها في العلن.
- كنا نشاهد لساعات محدودة نتأمل و نفكر و نناقش، وصرنا نعاني من التدفق، فلم نجد فسحة للتأمل و التفكير، وقبلها الوعي الذي قدم إلينا جاهزا ومعلبا و صريحا. (السيد أحمد مصطفى عمر، 2007)[25]

07- دور الأسرة في مجابهة الغزو الثقافي الموجه عبر تلفزيون الواقع

تمثل الأسرة إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تضطلع بعدة مهام ووظائف،خاصة وأنها تعتبر اللبنة الأولى التي ينشأ فيها الأفراد ويكتسبون منها مختلف القيم والمعايير والاتجاهات، عن طريق التعلّم والمحاكاة (التقليد)، إلاّ أنه في عصرنا هذا لم تعد الأسرة لوحدها قادرة على تشكيل القيم والاتجاهات لدى الأفراد، وإنما هناك مؤسسات أخرى تشارك في مهمة تشكيل القيم، ومن بينها وسائل الإعلام، التي أصبحت تحتل مكانة مهمة في حياة الأفراد في عصر العولمة، خصوصا مع التنامي المذهل في التعرض لمحتوياتها والتفاعل معها.

ونظرا لأن تطور المجتمعات ورقيها يقاس بالجانب الثقافي القيمي أكثر من الجوانب المادية، ولأن تلفزيون الواقع يعتبر أحد إرهاصات العولمة بمختلف أبعادها، تجد الأسرة نفسها اليوم مجبرة على مواجهة السيل المتدفق من القيم والثقافات الأجنبية، وحماية أفرادها من محاولات الغزو الثقافي وتفتيت القيم الاجتماعية المتوارثة جيلا عن جيل، خاصة تلك القيم والثقافات المتدفقة عبر شاشات التلفزيون - الوسيلة السحرية- وتكون هذه المجابهة عبر إتباع مجموعة من الإجراءات من بينها:

- **الاعتزاز بالهوية الثقافية:** وهذا من خلال الحرص الدائم على دفع الأفراد (خاصة الأطفال والمراهقين) على الاعتزاز بهويتهم وذاتهم الثقافية والحضارية، والعمل على احترام لغتهم وثقافتهم وتاريخهم، وعاداتهم وتقاليدهم وانتماءهم الثقافي والديني.

- **المراقبة المستمرة:** من خلال مرافقة الأبناء في مشاهدة برامج التلفزيون أو استعمال الأنترنت، لأن حضور الآباء يعتبر أمرا ضروريا لمساعدة الأبناء على فهم واستيعاب كل ما يتعرضون إليه، و أن يقوم الآباء أيضا بمقاومة عرض كل ما يتعارض مع القيم الدينية والاجتماعية والقواعد الأخلاقية والثقافية.

- **سياسة الردع والمنع**: بالاستنكار الدائم لكل ما يخالف قيمنا وثقافتنا، ومنع الأبناء من مشاهدة هذه البرامج عن طريق تغيير القناة، أو منعهم كليا من مشاهدة هذه البرامج، لأن قلة الرقابة على ما يشاهده الأبناء سيؤدي حتما إلى تعرضهم لبدائل ثقافية وقيمية لا تتفق مع ثقافتنا وقيمنا.

- **التفاعل الواعي:** أي ضرورة تعويد الأبناء على التفاعل الواعي مع مضامين التلفزيون، من خلال قيامهم بإكساب أولادهم القدرة على اختيار البرامج التي تتناسب وقيم وتقاليد وثقافة مجتمعاتنا، ونقد البرامج البعيدة عن قيمنا وعاداتنا.

- **زرع ثقافة الحوار الأسري:** يجب على الأولياءتشجيع ثقافة الحوار الأسري، والتفاعل الاجتماعي مع الرفقاء والأصدقاء، لأن هذا الاندماج الاجتماعي قد يقلل من تعرض الأطفال، المراهقين والشباب لوسائل الإعلام بما فيها برامج تلفزيون الواقع.

- **التوعية والتوجيه**: وهذا من خلال توجيه الأبناء نحو مشاهدة البرامج الثقافية والتعليمية والتوعوية والبرامج التي يقترب محتواها من الواقع الاجتماعي اليومي، وصرفهم عن البرامج الترفيهية التي لا تضيف أي قيمة.

- **خاتمة**

حاولنا من خلال العرض السابق أن نعالج معالجة نسبية ظاهرة من بين الظواهر التي تعتبر واحدة من إرهاصات العولمة بأبعادها المختلفة (الثقافية، السياسية، الاقتصادية والتكنولوجية) والتي ترتبط أيضا ارتباطا وثيقا بالتحولات المتسارعة والعميقة التي شهدتها صناعة الثقافات من خلال أهم وسيلة إعلامية وهي: التلفزيون، وتتمثل هذه الظاهرة في **"تلفزيون الواقع"**.

هذه التجربة الإعلامية الإبداعية الغربية التي طالت عديد القنوات الفضائية العربية، حاملة في طياتها نمطا ثقافيا مختلفا عن ثقافتنا، وقيما دخيلة على مجتمعاتنا بصفة عامة وعلى الأسرة بصفة خاصة كونها أهم مؤسسة للتنشئة الاجتماعية.

فالمتفحص لمداخلتنا يتبين له جليا أن انطلاقتنا في الموضوع كانت من منظور نقدي، وتبريرنا لهذا هو ما يلاحظ اليوم من تصرفات وسلوكيات غريبة على المراهقين والشباب بصفة عامة (سواء من الناحية الظاهرية اللغة المستخدمة في التخاطب مع الآخرين وطريقة الكلام، طريقة اللباس، طريقة الجلوس، طريقة الأكل،...، ومن الناحية النفسية كالميل إلى العزلة النفسية، الأنانية، الانبهار بالنموذج الغربي،...) والتي ما هي إلا تقليد لما يعرض من برامج واستعراضات في جل القنوات الفضائية.

وعلى الرغم من أنّنا ركزنا أكثر على التأثيرات السلبية إلاّ أن هذا لا ينفي أن لمثل تلك البرامج إيجابيات يكفي أنها قامت بطرح تصورات جديدة للتلفزيون بصفة عامة وللمضمون الترفيهي صفة خاصة، زيادة على ذلك يمكن أن تستخدم برامج تلفزيون الواقع لتعريف الشباب عن كيفية تطور الحياة، والإحساس بقيمة هذا

التطور، كما يمكن أن تساهم هذه البرامج في الإطاحة بصناعة الثقافة والإعلام الذي كانت تتحكم فيها دول الشمال، ليحل محلها ثقافة شعبية منتجة من قبل الجماهير. ومن إيجابيات هذا النوع التلفزيوني أيضا، أنّه ساهم في إعادة النظر إلى العلاقة ما بين الرسالة الإعلامية والجمهور المتلقي، حيث لم يبقى المتلقي في وضعيته السلبية التي كان عليها من قبل وإنما أصبح عنصرا فاعلا ومشاركا في بناء الرسالة الإعلامية، من خلال التفاعل، التصويت، النقاش،...الخ

زيادة على ذلك إن طرحنا لموضوع تلفزيون الواقع وتأثيره على الأسرة كان من زاوية البرامج الترفيهية التي تقوم على مسابقات مواهب الغناء، والرقص، وملكات الجمال... إلاّ أن في المقابل هناك برامج أخرى لتلفزيون الواقع ذات مضمون هادف، وهي تلك البرامج التي من شأنها أن تعمل على إكساب الأطفال الاعتماد على النفس، الشعر، الإنشاد، حفظ القرآن الكريم، والمسابقات التي تعتمد على الذكاء، وهي برامج من شأنها أن تقوم بدور إيجابي في المجتمع.

وحتى وإن ظهر خطابنا خطابا تشاؤميا ناقد للنماذج الغربية بحجة أنها أداة للغزو الثقافي واستبدال القيم الإسلامية والحضارية بقيم العولمة، إلا أنه لا يجب أن نرى دور الجمهور أو المتلقي كعنصر سلبي يتلقى فقط دون الأخذ بعين الاعتبار تفاعله مع هذه البرامج. فقط وجب أن نشير إلى أن الأسرة تبقى المسؤولة الأولى والأخيرة عن مدى تأثير تلك البرامج على أفرادها - المراهقين والشباب خاصة -

لذا وجب علينا التساؤل عن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء إقبال الجمهور العربي على متابعة هذه البرامج، والمشاركة المتزايدة فيها، وهذا ما يستدعي عدم الاكتفاء بالمقاربة النظرية وإنّما اللجوء إلى مقتربات نظرية أخرى من شأنها أن تكشف عن الدوافع الجوهرية التي تكمن وراء مشاهدة برامج تلفزيون الواقع والتفاعل معها، وعن التصورات التي يحملها الأفراد عن تلك البرامج. كمقترب "التمثّل" و "التملّك". بالإضافة إلى الاعتماد على مناهج كيفية كـ"المنهج الاثنوغرافي" الذي يمكن له أن يقوم بتفسير المشاهدة التلفزيونية في سياقها وظروفها الخاصة.

– قائمة المصادر والمراجع:

– المراجع العربية:

01- السيد أحمد مصطفى عمر، فضائيات **عصر العولمة و الهوية التقافية**، مؤتمر الفضائيات العربية و الهوية التقافية ،جامعة الشارقة، 11-12 ديسمبر، 2007.

02- المنصف العياري، **تلفزيون الواقع: أي تلفزيون وأي واقع**، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد1، تونس، 2005.

03- بن عيسى عسلون، **خصوصياتتلفزيون الواقع**، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد 1، تونس، 2005.

04- جمال الزرن، **عن تلفزيون الواقع وإليه: بداية الواقع أو نهاية الأسطورة**...، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد 1، تونس، 2005.

05- حسن عماد مكاوي، **تلفزيون الواقع ومخاطره على الشباب**، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد1، تونس 2012، ص 79، متوفر على الموقع الإلكتروني:
http://www.asbu.net/asbutext/pdf/2012_01_077.pdf (consulté le 10.03.2013)

06- نصر الدين لعياضي، **تلفزيون الواقع في المنطقة العربية: بين التجانس الثقافي والنسبية الثقافية**، ثورة الصورة، المشهد الاعلامي وفضاء الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.

07- نصير بوعلي، **الإعلام والقيّم: قراءة في نظرية المفكّر عزي عيد الرحمن**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2005.

08- سماح حسين قاضي، **تلفزيون الواقع والثقافة الاستهلاكية** – دراسة ميدانية طلبة جامعة دمشق نموذجا، رسالة مقدمة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009، ص 13، متوفر على الموقع الإلكتروني:
www.jcmcr.com/upload/Master_file/1304685734.pdf (consulté le 15.03.2013)

09- عبد الحفيظ الهرقام، **أي نظرة لتلفزيون الواقع**، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد1، تونس، 2005.

10- عبد الله بوجلال، **آثارالتلفزيون على المشاهدين**، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 2، معهد الإعلام والاتصال، الجزائر، 1992.

11- رحيمة الطيب عيساني، **اتجاهات الشباب الجزائري نحو الفضائيات الدينية الإسلامية ودورها في توعيته، ضد التطرف والتعصب** – دراسة ميدانية- ص4، متوفر على الموقع الالكتروني www.philadelphia.edu.jo/.../rahemah_3ysani.doc(consulté *20.03.2013*)

12- خالد زعموم وآخرون، **ظاهرة تلفزيون الواقع وامتدادها في التلفزيونات العربية**، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية(65)، تونس، 2005.

- **المراجع الفرنسية:**

- Téléréalité et réalitésculturelles arabes (2/2)(2007) : une star 01 Ac puor le Maghreb ; Retrieved, February ; 4-2007, http ;// culturepolitiquearabe. Blogspot.com/2007-02-01 .archive.html